الباشوية اليه. وهكذا اقتدى مماليك بغداد بمماليك القاهرة بخلق المشاكل لمن لا يرغبون فيه من الولاة للاستيلاء على كرسي الحكم.

تولى عمر باشا الحكم في ربيع 1764 وشهد عهده احداثا جساما كان اولها ثورات عشائر الخزاعل والمنتفك والعبيد، ثم الطاعون الذي وفد من اسطنبول الى مدن العراق وداهم بغداد عام 1772 واخذ يسرى إلى سائر انحاء العراق، وقد فتك بالسكان فتكا ذريعا وقيل انه قضى على نخبة ممتازة من ذوي الخبرة وقادة الرأي، لاسيما اولئك الذين لهم المام واطلاع في تمشية الادارة والحكم، وقد حل محلهم مجاميع من العرب والاكراد من الذين لا خبرة لهم ولا دراية مما زاد من سوء الاوضاع. وجاء عام 1774 لتشهد اضطراب الحالة في كردستان وتدخل كريم خان الزند العسكري في العراق في وقت كانت فيه الدولة العثمانية في ختام حربها مع روسيا التي انتهت بمعاهدة كوجك كينارجي. وقد تمكن الايرانيون في عام 1775 من فرض حصار على البصرة الامر الذي جعل السلطان يلتفت إلى العراق وكان قد خرج منذ وقت قليل من حربه الخاسرة مع قيصرة روسيا (كاترين الثانية)، وقد كان الاعتقاد في الاستانة في بداية الامر أن السبب الاكبر في هذا النزاع مع ايران هو عمر باشا لذا فان ابعاده قد يهدأ الحالة في كردستان، وفي البصرة، وكان قد ورد للدولة العثمانية اتهامه بالتعرض للزوار الايرانيين. ومما عزز هذا الاعتقاد ارسال كريم خان الزند سفيرا الى السلطان يشكو من سياسة عمر باشا، وفي الوقت نفسه راح الجميع في الاستانة يفكر في التخلص من حكم المماليك في العراق، غير أن ذلك ليس بالأمر الهين إذ قد تندلع ثورة المماليك في بغداد. لذا فقد عين مصطفى باشا الاسبيناقجي، والي الرقة، لقيادة حملة إلى العراق، وقد وصل إلى بغداد وبصحبته والي ديار بكر عبد الله باشا الطويل ووالي كركوك سليمان الجليل، وعبدي باشا، واتخذوا لهم مقرا خارج المدينة. وقد اعتقد عمر باشا أن هذه القوة إنما جاءته عونا لدحر الاعداء وفك الحصار عن البصرة، لذا طلب من القادة التحرك لإنقاذ البصرة، إلاَّ انهم اعتذروا له بحجج مختلفة، منها ان القادة العثمانيين اشاعوا ان معاهدة صلح قد وقعت بين السلطان العثماني وشاه ايران كريم خان الزند. واخيرا كشفوا له عن الحقيقة واخبروه بانهم يحملون

امرا بتعيين الاسبيناقجي لبغداد وبتحويله إلى ديار بكر، فامتثل عمر الامر وترك المدينة ونصب خيامه في (المنطقة) في الجانب الغربي من بغداد استعدادا للسفر ولكن سرعان ما امر مصطفى باشا بهجوم فجائي على مخيمه ليلا، وقد حاول عمر باشا الهروب نحو الكاظمية، ولكنه اثناء هذه المحاولة سقط عن فرسه والتوت رقبته ثم عثر عليه احد الجنود وقطع راسه وذهب به إلى الاسبيناقجي فأرسله هذا بدوره إلى الاستانة. وقد ادعى مصطفى باشا أن الهجوم الذي شن على مخيم عمر كان بسبب البلبلة والاضطرابات التي حدثت في بغداد بإيعاز منه بعد عزله، وان اقامته في الجانب الغربي كان يقصد منها التمرد والعصيان. ثم اصدر مصطفى باشا امرا يقضي بمصادرة اموال الباشا القتيل، وكذلك امر بجباية الاموال من الاغنياء زاعما انها من اجل انقاذ البصرة، وفي الوقت نفسه اخذ يضيق على المماليك الذين ادركوا نياته وعلموا بالتعليمات التي تزود بها، لذا فقد اخذوا يتسللون من بغداد تدريجيا والتفوا حول الكتخذا عبد الله اغا. واخذوا يهددون بغداد ويشنون الغارة على اطرافها، وتمكنوا من احتلال بعض المواقع. وقد اصبح خطر المماليك يهدد بغداد بالسقوط.

لقد كان الباب العالي كما ذكرنا يرمي من تعيين مصطفى باشا إلى القضاء على نفوذ المماليك في العراق إلاّ أن امله قد خاب فقد فشل الوالي الجديد في تصريف سياسة العراق منذ تعيينه، فلم يكن لهذا الوالي أي المام بأحوال الولايات العراقية، كما لم تكن له المقدرة التي تؤهله لإدارتها، وقد استولت عليه الانانية المفرطة فانصرف الى مصالحه الخاصة ومنافعه الشخصية. وفي الوقت الذي تزايد فيه خطر الايرانيين على البلاد في ظل حصارهم لمدينة البصرة، يظهر ان مصطفى باشا لم يعمل بشكل جاد لفك الحصار عن البصرة، الى درجة اتهم من قبل البعض بانه كان على اتفاق سري مع الايرانيين، وان كنا لا نعرف صدق هذا الاتهام من عدمه .ولكن مصطفى باشا بكل الاحوال قد كتب الى متسلم البصرة يخبره ان المساعدة المرتقبة اليه من قبل العثمانيين ستأتي في وقت متأخر، ويخيره اما ان يتصالح مع كريم خان الزند، أو يسلم المدينة الى الايرانيين، كما اصدر الاسبيناقجي مرسوما يقضي بوجوب ترخيص للقوات والضباط والامراء الذين كانوا تحت ادارته واعادتهم الى الاماكن

والمحلات التي جلبهم منها، كل ذلك خشية من ان يراقبوا ويطلعوا على سوء ادارته وتصرفاته، ومن اجل ان يبرر تصرفه للباب العالي كتب اليه يعلمه بانه لم يعد بحاجة الى هذه القوات لان الايرانيين قد انسحبوا من الحدود ومن البصرة وما حولها وان الامور عادت الى مجاريها الطبيعية، وكان هذا خلافا للواقع. وسرعان ما سقطت البصرة بيد الجيش الايراني، وازاء ذلك صدر الامر بعزل مصطفى من ولاية بغداد وتعيين والي كوتاهية عبدي باشا خلفا له، ولم يبد مصطفى اية مقاومة، بل هرب إلى الموصل ومنها إلى ديار بكر وهناك وردت الاوامر المستعجلة بتوقيفه ثم نفذ به حكم الاعدام، وكانت مدة توليه الحكم في بغداد ثمانية اشهر أو تسعة. ولما حضر عبدي باشا إلى بغداد وجد الحالة سيئة جدا، فقد تعاظم امر عبد الله اغا واصبح مسيطرا على اواسط العراق جميعا، وازاء هذا الوضع المتدهور وجد الباب العالي نفسه امام الامر الواقع مرة اخرى فقد عجز ولاة الذين ارسلتهم الدولة العثمانية عن حكم العراق وانقاذه، لهذا تخلى عن فكرة القضاء على الحكم المملوكي في العراق، وصدر الفرمان بإسناد باشوية بغداد إلى عبد الله اغا وتعيين حسن اغا حاكم ماردين وكتخذا أبي ليلة السابق، واليا على كركوك، مع توجيه رتبة الباشا اليه. وقد كان والي طربزون قد انتقد في تقريره الذي كتبه عام 1776 وسماه (تاريخ جديد) أو (بادكار تاريخ) ما كنت تفكر به الدولة العثمانية تجاه مماليك العراق من محاولة ابعادهم عن الحكم واحلال الاتراك محلهم، فهو يرى أن خطورة الاوضاع التي يعيشها العراق تتطلب حشد كل الطاقات العثمانية والمملوكية، فهناك جيش اجنبي يحتل البصرة، وهناك ثورات عشائرية عربية وكردية.

تميز عهد عبد الله باشا (1776-1778) بالضعف، ولم يكن لديه المعرفة والقدرة على حكم بغداد، حتى انه وصف من قبل بعض المؤرخين بالأبله، وكان عبد الله باشا قد عين عجم محمد خزنة دار، وهو محمد بك الأيراني الاصل الذي عرفه البغداديون باسم عجم محمد، وقد جاء الى بغداد من ايران ايام حكم والي بغداد سليمان باشا ابي ليلة (1750-1762) تصحبه آمه واخته فألفوا جوقا موسيقيا، اذ كانت اخته ترقصان، وامه تنقر الدف وهو يغني، واستطاع ان يؤثر على بعض ضعاف النفوس في حكومة بغداد فعين دويدارا

(اي حامل الدواة) في عهد الوالي عمر باشا (1764-1775)، ثم تزايد نفوذه في عهد الولاة الذين جاءوا من بعده، فارتقى مناصب عدة، حتى وصل منصب (الخزنة دار) وصار يطمح لمنصب الباشوية، وتمكن عجم محمد بنفوذه ومركزه في الحكومة من توجيه سياسة ولاية بغداد. وقد اتبع سياسة مالية سيئة اتسمت بالتعسف الى حد اجبرت الكثير من التجار الى الهروب من بغداد. والحقيقة ان السيطرة الفعلية على الادارة في بغداد كانت بيد عجم محمد، وبعد وفاة عبد الله باشا اندلعت حرب اهلية بين الطامعين بالولاية دامت خمسة اشهر تنافس خلالها عجم محمد الذي اسند اليه الوالي عبد الله باشا امور الولاية في اثناء مرضه، واسماعيل اغا الكتخذا السابق الذي عزله عجم محمد وانتهى الامر بتعيين السلطان العثماني حسن باشا والي كركوك ولكن حكم الوالي الجديد لم يكن افضل من سابقيه فقد استمرت الصراعات مع الطامعين بولاية بغداد لا سيما عجم محمد. وفي البصرة كان سليمان اغا يرقب احداث بغداد المضطربة بعين اليقظة نتيجة المصائب والويلات التي تعاني منها المدينة بسبب هجمات انصار عجم محمد وحليفه احمد اغا قائد اللاوند المتكررة والتي اقتربوا في احداها من الاعظمية، وكانوا قد عادوا مرة اخرى على مسرح الاحداث، متخذين من بعقوبة ونواحيها مركزا لتجمعهم، وقد ازداد هياج الاهالي ووضعوا المتاريس في الشوارع وارتاع الوالي خوفا على حياته، وفي 27 تشرين الأول عام 1779 شن الاهالي هجوما على السراي، فهرب الوالي إلى جانب الكرخ، ومنه إلى الموصل، وهناك تلقى خبر نقله إلى ديار بكر فغادر إليها، وعند وصوله الم به مرض توفي على اثره، وبذلك شغرت باشوية بغداد. وقد انتهز سليمان اغا هذه الفرصة وكان قد كاتب السلطان مزينا له اسناد ولاية بغداد اليه، متعهدا بقطع دابر الفتنة وتوطيد الامن.

-سليمان باشا الكبير(1780 ـ 1802):

كان الباب العالي يرى في شخص سليمان باشا الذي عرف بالكبير(1780-1802) رجل الساعة الذي سيضع حدا للفوضى التي دامت ثمانية عشر عاما (1762-1780). وقد

تحرك سليمان باشا من البصرة لاستلام منصبه الجديد وبرفقته جماعة من الذين اعانوه في امر تعيينه واليا على البصرة وعلى راسهم ثويني شيخ عشائر المنتفك، وكذلك بعض افراد حامية الزبير، وقد خلف لاستقباله عند وصوله العرجة اسماعيل اغا الذي عرفته احداث بغداد طرفا في النزاع الذي نشب بعد وفاة واليها عبد الله باشا، للاستيلاء على منصب الباشوية، ومعه بعض اتباعه ومعتمديه الذين برزوا اثناء الفتن والاضطرابات، غير أن سليمان باشا امر بإعدامه فورا، وعاد اتباعه مخفورين إلى البصرة التي اصبح سليمان اغا القره ماني متسلما عليها، ثم واصل سفره فالتقى بالقرب من السماوة بشيخ الخزاعل حمد الحمود الذي عرف بثوراته منذ عهد الوالي عمر باشا، فنصحه سليمان باشا واكد عليه ضرورة التمسك بالنظام على الامن، ثم عرج بعد ذلك نحو كربلاء وبعد زيارة العتبات المقدسة اتجه نحو الحلة بعد أن كان قد اذن لشيخ عشائر المنتفك بالعودة إلى دياره، وكان في استقباله في الحلة سليمان الشاوي والكثير من افراد عشيرته العبيد، وعند وصوله جسر المسعودي وجد في استقباله والي الموصل وعلماء بغداد ووجوهها، وبعد أن خيم خارج بغداد مدة يومين سار لقتال عجم محمد واتباعه، فعبر ديالى واستطاع بمن معه من قوات عربية وكردية من احراز النصر وانزال الهزيمة بهم، وقد قتل احمد اغا، وهرب عجم محمد إلى لورستان. وبعدما امضى سليمان باشا وقواته في تلك الانحاء قرابة شهر اعاد خلاله الاطمئنان إلى السكان، دخل بغداد مقر وظيفته في تموز 1780م. وبدخوله الى بغداد يبدأ العصر الذهبي لحكومة المماليك في العراق، فقد كانت مجهوداته في سبيل تثبيت قدم المماليك في العراق هي التي جعلت حكمهم يمتد حتى عهد داوود باشا . لقد بذل سليمان باشا الكبير جهودا كبيرة لإصلاح الادارة في بغداد، وجلب اعداد كبيرة من المماليك من بلاد الكرج وسعى الى تعليمهم وتثقيفهم وتدريبهم على اساليب واصول انجاز المعاملات الرسمية وهيأهم لإدارة مناصب الدولة التي تناط بهم، ثم طلب من الاستانة عددا من الانكشارية لتعيينهم بدلا من الانكشارية المقيمين في العراق الذين استشرى فيهم عدم الانضباط، فقام بنقلهم الى انحاء مختلفة من العراق مثل الديوانية والسماوة بحجة المحافظة على الامن ومقاومة القبائل الذين يثورون على السلطة.

الجنوب ، والباب الابيض او الباب الوسطاني في الشرق . اما الباب الرابع فهو يواجه النهر ويسمى باب الجسر . والأخير يربط ما بين بغدا والجهة المقابلة من دجلة حيث تنتصب قلعة الطيور .

كان عدد افراد الحامية الايرانية يزيد على ٣٠٫٠٠٠ رجل معززة بالسلاح والذخيرة . وبعد حصار دام اربعين يوما تمكنت القوات العثمانية من السيطرة على الابراج كافة . فطُلب التسليم وايقاف القتال ووافق السلطان على الطلب ، وتم الاتفاق على انهاء المقاومه وانسحاب الايرانيين من بغداد . ولكن بعض المدافعين رفضوا الانصياع لأمر التسليم فاستمرت الاشتباكات وعمت الفوضى وحوادث النهب والقتل ، وكانت خسائر الجانبين كبيرة جداً ، وقتل معظم رجال الحامية . ولما توقفت الاشتباكات أصدر السلطان اوامره بالمحافظة على حياة السكان المدنيين وعدم التعرض لممتلكاتهم . ثم اتخذ الاجراءات لتنظيم ادارة بغداد ، فعين كحك حسن أغا الانكشارية والياً كما ترك حامية من ٨٠٠٠ انكشاري بقيادة بكتاش اغا وأمر الصدر الاعظم باعادة بناء الاسوار والاستحكامات . ثم غادر بغداد عائداً الى القسطنطينية .

تثبيت حدود العراق الشرقية

وامضى الصدر الاعظم مصطفى باشا قرابة الشهرين في بغداد اهتم خلالها باعادة بناء التحصينات ، وبناء ماتهدم من المنازل والاسواق ، واعادة زرع البساتين . وقرر تأمين بغداد من الشرق ، فتحرك على رأس قواته متجهاً شرقاً ، ثم وصل اليه مبعوث من الشاه طالباً انهاء العداوات . ووافق الصدر الصدر الاعظم على العرض وارسل رسالة الى الشاه طالباً منه ان يرسل شخصاً مخولاً بصلاحية مطلقة لتحقيق شروط السلام بين الدولتين . وعين الشاه مبعوثاً لهذه الغاية